مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد01 جانفي2023 ص ص 173ـ191
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

قراءة في عبقرية المكان والزمان للإنسان التيارتي من خلال مخلفاته المادية والأثرية في منطقة تيار وموقف دعاة االمدرسة الكولونيالية

A Reading on the Witness time and space of the Man in Tiaret through archaeological remains in Tiaret and the attitude of the French School

العربي بوعناني♦، جامعة ابن خلدون- تيارت larbihis16@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/12/17 تاريخ القبول: 2023/01/27 تاريخ النشر: 2023/01/31

الملخص: حاولنا من خلال هذه الدراسة، أن نسلط الضوء على جانب مهم أغفله العديد من الباحثين، الذين أسهبوا في كتاباتهم التي تناولت بالدراسة الآثار والشواهد المادية التي تركها الإنسان التيارتي. ألا وهو عبقرية المكان والزمان للإنسان التيارتي في مسيرته الطويلة التي قضاها متحركا ومتفاعلا مع بيئته الخلاقة التي وفرت له أجواء مناسبة وملهمة ساعدته على تفجير طاقاته الإبداعية التي ترجمها في ابتكارات فنية ومخلفات مادية لازالت شاهدة على ذلك السبق الحضاري، رغم تعرض البعض منها للتشويه بفعل الزمان.

ومن ذلك آثار ما قبل التاريخ منها موقع كولومناطة بسيدي الحسني الذي يعتبر المحطة الأولى للإنسان البدائي الذي عاش بالمنطقة. إلى الفترة القديمة التي تضم المعالم الجنائزية بلجدار التي تعتبر من النماذج النادرة في شمال أفريقيا. فالإنسان هنا هو المحرك للمكان حيث يقوم بتحويله من حالة السكون إلى حالة التغير. حيث لا مكانة للمكان إلا إذا توفر عنصر الحركة من خلال نشاطات الإنسان التي تدفع باتجاه بناء حركة المكان ومن ثم تغيير ملامح الزمان، ومن هنا تكون المكانة هي سيطرة المكان على الزمان. وفي هذا الصدد يقول الفليلسوف هيجل إن الوعي بالذات يتحقق عندما يقطع

♦ المؤلف المرسل

الحبل السري الذي يربط الإنسان بالطبيعة.... وهذا ما يفسر التاريخ بوصفه تجليا لحركة الروح العاقلة في الزمان[1]، ويتجلى ذلك في سلوك الذات الواعية.

الكلمات المفتاحية: تيارت؛ الشواهد المادية؛ المكان؛ الزمان؛ المدرسة الكلونيالي

Abstract: This article focuses on the important part of historical period that has been left over by many schlolars who wrote extensively on the ruins of Tiaret from higher Palaeolithic to which belong the ruins of Columnata in Sidi El Hoceni till the end of the ancient period that left the tombs of Ledjdar. These are the scarce samples of the great achievements of the man in Tiaret who invested in his good environment.

Therefore, the consciousness of the man in Tiaret, as it has been pointed out by Higel, has been realized with his connection to the environment.

Keywords: Tiaret ; Ledjdar; space; time; French School**.**

مقدمة: تعتبر مدينة تيارت وضواحيها، من أغنى الحواضر الجزائرية بالمخلفات المادية والشواهد التاريخية، كالأدوات الحجرية والعظمية والرسومات والنقوش الجدارية، والأواني الفخارية والمعدنية، التي تعبر عن ذلك التواصل الحضاري بين الأجيال المتعاقبة التي ساهمت بدون شك في تعمير المنطقة، والذي امتد من فترة ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا. عرفت المنطقة خلال مسارها التاريخي تعاقب عدة حضارات، منذ الفترة القديمة حيث تركت لنا إرثا حضاريا تمثل في المواقع الأثرية المتمثلة في المعالم الجنائزية من الدولمان والبازينا والتيميليس وغيرها، كل هذا من شأنه أن يسمح لنا بإعادة تصوير وتصميم الحياة اليومية للإنسان التيارتي في بيئة وزمن معينين. فمنطقة تيارت لها خصوصيات طبيعية تميزها عن غيرها من مناطق الجزائر فهي تشكل بحكم موقعها الاستراتيجي منطقة عبور بين المنطقة التلية المعتدلة والصحراوية والشرق والغرب.

واضح أن الإنسان لا يعمل في فراغ، وإنما في الطبيعة وعليها يعمل. وهكذا لم يكن الإنسان سلبيا خاضعا للبيئة بل طوعا وأخضعها لنفسه وكان تلاؤمه موجبا لا سلبيا، ومن هنا كثيرا ما ينجح الجد حيث تخفق الطبيعة. وليس معنى هذا أن اعتبار مظاهر

1 هيجل: العقل فى التاريخ، المجلد الأول، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة وتعليق وتقديم، إمام عبد الفتاح إمام، ط3 2007، ص 41-42.

الحضارة كرد فعل آلي للوسط الذي كان يتحرك فيه الإنسان، وإنما أن الإنسان يصنع نفسه بنفسه مستفيدا من بيئته فيستثمر ما بها من خامات ليصنع لنفسه واقعا متجددا باستمرار.

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار عبقرية المكان التي تتجلى في الموقع المتوسط وتنوع التضاريس والمناخ والغطاء النباتي، مما جعله فضاء إستقطاب للهجرات البشرية التي ساهمت في تعمير المنطقة. وفي تحريك المكان لكي يتبوأ منزلة أرقى وبالتالي تغيير لملامح الزمان. فالإنسان التيارتي غطى بثقل حضوره فترة تاريخية مهمة من خلال نشاطاته المتنوعة ليكن الزمن هو زمانه هو وبلا منازع.

حاولت المدرسة الكلونيالية أن تنعت كل انجاز حضاري صنعه الإنسان المغاربي بالتأخر والتخلف لتثبيت حقيقة مؤداها أنه لا يقوى على الخلق و الإ بداع، وأن التخلف صفة ملازمة لذلك الإنسان، في حين وصفت كل سبق حضاري بالتفوق وراحت تنسبه إلى حضارات أخرى مجاورة أو وافدة.

وقبل تناول الموضوع بالدراسة أود أن أطرح الاشكالية التالية: فيما تتجلى عبقرية المكان والإنسان التيارتي خلال فترة ما قبل التاريخ وما يليها ؟

1- الاكتشافات الأثرية في منطقة تيارت:

من المعروف أن الإنسان يكون على إطلاع و يعرف الأحداث المعاصرة له، ولا يعرف الأحقاب الموغلة في أعماق التاريخ إلا بشق الأنفس، إن الأحقاب التاريخية التي سبقت نشأة قرطاجة أواخر القرن العاشر قبل الميلاد. لم تنال حقها من الدراسة في الجزائر إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والأول من القرن العشرين، حيث ظل أغلبها مجهولا ودون مساس، ومع بدايات الاحتلال الفرنسي نشطت المدرسة الفرنسية التي أولت اهتماما كبيرا للدراسات والأبحاث والتنقيبات فتخصصوا وجالوا فيه بدون منازع. مستفدين من تقنيات البحث والدراسات الأركيولوجية التي عرفتها أوربا خلال القرن التاسع عشر. ومن أشهر الباحثين الذين كان لهم باع طويل في عمليات التنقيب نخص بالذكر: إميل فليكس غوتييه، ليونيل بالو وغزال وبيار كدينا. غابريال كامبس والبعض منهم لم يكن من ذوي الإختصاص فنجد الضباط العسكريين وبعض القادة السياسيين الذين كانت لهم بعض الإسهامات التي تفتقر إلى الدقة العلمية وغياب الموضوعية، فراحوا يروجون باسم العلم الموضوعي لتلك المغالطات والأفكار المشوهة والمزيفة أحيانا عن ماضي الجزائر، والتي سنتعرض لها لاحقا بالنقد.

ففي سنة 1911 تم إصدار الأطلس الأثري الجزائري من طرف الباحث الفرنسي (stéphane Gsel) ، وفيه تم تحديد الكثير من المواقع والمعالم الأثرية على لوحات

الأطلس الأثري، حيث شكلت حوالي 7681موقعا اثريا منتشرا في كل ربوع الوطن. كان نصيب المواقع الأثرية فيها لمنطقة تيارت حوالي 577 موقعا.[1]

ومن جهته يذكر بيار كادينا (Piere Cadinat) في أطلس ما قبل التاريخ الجزائري أن تيارت وضواحيها تتوفر على حوالي 192 موقعا أثريا تم إحصاؤها بعد عمليات تنقيب قام بها بيار كادينا و فريق من الخبراء المتخصصين، يعود لفترة ما قبل التاريخ. وفي حين يذكر ستيفان غزال في أطلس الجزائر وبالتحديد في الورقة 33، أن هناك 130 موقعا أثريا من فترة فجر التاريخ إلى الفترة الرومانية.

ولقد دلت المعالم التاريخية والمواقع الأثرية على أن الإنسان اتخذ من منطقة تيارت مستقرا له وذلك منذ حوالي 10800سنة. ترك وراءه كم هائل من المخلفات الأثرية التي لازالت شاهدة على حقبة تاريخية ثرية، تحتاج إلى المزيد من البحث والتنقيب. ولاشك أنها ستفتح الباب أمام الدارسين والباحثين على استخلاص الكثير من الحقائق حول تاريخ منطقة تيارت ومحيطها.

2-آثار ما قبل التاريخ: يمكن رصد التطور الحضاري في فترة ما قبل التاريخ من خلال الشواهد المادية التي تركها ذلك الإنسان ومن أهم إنجازاته المادية:

2-1 - موقع سيدي الحسني (كولوماطة) (العصر الحجري القديم الأعلى):

اكتشف هذا الموقع الباحث الفرنسي بيار كادينا (pierre Cadinat) سنة 1937، قام فيه بعدة حفريات ونجح في استخراج العديد من الهياكل العظمية لإنسان تلك الفترة، يضم الموقع أربعة مستويات ثقافية: مستوى ابيري مغربي- مستوى كولوماطي- مستوى قفصي علوي- ومستوى نيوليتي ذو تأثير قفصي.[2]

يقع الموقع الأثري بسيدي الحسني (العصر الحجري القديم الأعلى) في الجنوب الشرقي من بلدية سيدي الحسني، يبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 27كلم عن عاصمة الولاية. الذي اكتشفه الباحث الفرنسي Pierre Cadenat سنة 1937، وفيه تم العثور

---

1 بابا عبد الرزاق: تحقيقات في الأطلس الأثري الجزائري، مجلة الدراسات الأثرية، مجلد14، عدد1، 2016، ص 114.

2 -M-C Chamla : l'évolution du type Mechta Aflou en Algérie Occidentale, comptes rendus hébdomadaires des séances de l'Academie des sciences naturelles ,Série 02,1966-1980. P1849.

على أدوات حجرية وفخارية، وحلي، وفأس صنعت من معدن البرونز، ومنصات حجرية وبقايا مدافن موجودة بالموقع، ففي سنة 1948 تم التعرف على طبقتين تعود أحدهما للحضارة الإبيرو مغربية والأخرى للحضارة القفصية.[3]

فعلى المستوى الأول حوالي 8850 قبل الميلاد، تم العثور على صناعات حجرية وعظمية صغيرة، لتؤكد على أن الإنسان التيارتي اعتمد على الصيد في تأمين احتياجاته الغذائية، حيث استخدم أعداد كبيرة من النصال والنصيلات في ذات الموقع، لعلها استخدمت

كرؤوس سهام في قنص الطرائد الكبيرة. مما يكشف لنا عن تطور هذه التقنية التي يسهل حملها ودقة تصويبها في الإيقاع بالحيوانات العشبية كبيرة الحجم، التي كانت تتواجد بأعداد كبيرة في الوسط الذي كانوا يتحركون فيه أنذاك. ولا تزال هذه العظام محفوظة في المتاحف الوطنية. ومن الحيوانات التي تم العثور على عظامها الثور البدائي والحمار الأفريقي المتوحش، ووجدت بقاياهما في مواقع العصر الحجري القديم كسيدي الحسني بتيارت ومغارة وادي سعيدة ومغارة سكان الكهوف بوهران.[4]

أما على المستوى الثاني: حوالي 6330- 5350 قبل الميلاد يتميز بصناعة حجرية صغيرة وعظام مصقولة متنوعة ذات تقنية جيدة، حيث تحتل القواطع ذات الحد المائل المرتبة الأولى.[5]

أما الصناعات النيولثية من وجهة نظر المدرسة الاستعمارية فهي تلك الصناعات التي ظهرت من جهة الغرب وأطلق عليها الحضارة الوهرانية التي انتشرت على السواحل

3- Chaid- Saoudi (y)Les Mammifères holocènes des gisements préhistoriques de Gueldaman-Akbou (Bédjaia), Columnata Tiaret Algérie. Doctorat de troisiéme cycle ,Université Claude Bernard – Lyon,1987, p. 86.

4- ستي صندوق: الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، كوكب العلوم، الجزائر، 2020، ص 48.

5 -Pierre Cadinat :Vues nouvelles sur les industries de Columnata Libyca,1966.P2053.

والتل ابتداء من المحيط الأطلسي غربا إلى خليج قابس شرقا ووصلت تأثيراتها تدريجيا إلى دلتا النيل.[6]

ويفهم من ذلك أن منطقة تيارت كانت مجرد جسرا للعبور واعفائها من أي دور فاعل إنه أمر مجانب للحقيقة، فلا شك أنها تأثرت بالتقنيات الوافدة إليها، وفي نفس الوقت أدخلت عليها العديد من التعديلات لتحسينها وملائمتها لبيئتها. وما الأدوات التي عثر عليها في محيط المنطقة إلا دليل لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه.

كان البربر يستعملون منذ زمن بعيد، قبل وصول الفنقيين آلات حجرية صقلية نحاسية، أي أنهم مروا بثورة نيوليثية، لكن أصحاب النزعة الاستعمارية يريدون أن ينسبونها دائما إلى جهات خارجية، ويعتبرونها مجرد صناعات متخلفة ليست ذات قيمة تذكر. وبالتالي لا يمكن أن يطلق 'ليها صناعات نيوليثية. [71]

أما الحضارة القفصية فيربطونها بالجماعة التي مرت بأفريقيا الشرقية وتأثرت بحضارات الشرق قبل أن تدخل المغرب من ناحية الجنوب الشرقي فهي وحدها عرفت آلات حجرية صقيلة نشرتها تدريجيا داخل البلاد باتجاه الجهات الغربية من الجزائر عبر هجرات بشرية وصلت إلى منطقة تيارت حيث ما يميز هذه الأدوات الحجرية أشكالها الهندسية المتنوعة والتي يبدو أنها تلقت تحسينات في عمليات التشذيب، وهي عبارة عن أشباه المنحرف وأشكال مثلثة قدر عددها ب196 قطعة، والنصيلات المحززة ورؤوس عين كيدة. [8]

ولا يمكن أن ندعي أن منطقة تيارت صاحبة السبق الحضاري، مادامت هناك مواطن حضارية قديمة أول ما ظهرت في مصر والعراق وبلاد السند. كشفت عن ابتكارات فريدة من نوعها، لكن جوهر النظريات يقول بأن حضارة النيل هي من خلق البيئة النيلية أكثر منها من صنع الإنسان فلقد كان تميز النيل عن كل وديان العالم القديم بنظام فيضي هو الذي جعلها رائدة الحضارات.[93] ويبدو أن مثل هذا التفسير يلغي جهد الإنسان العقلي

6-محمد صغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى مليلة، 2011، ص24.

7-عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط1، 2007، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.ص45.

8 -Chaid.S :Op cit,p86 .

9-جمال حمدان: شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، ج1، دار الهلال.ص 393.

ويجعل منه مجرد تلميذ مقلد للطبيعة. والمعروف أن وإذا كانت الحاجة أم الاختراع، فإن البيئة خامة الاختراع.

إذن فلا غرابة أن يتأثر ويتفاعل الإنسان مع محيطه أخذا وعطاء، مما يدفع بالإنسان إلى تطوير أدواته مستلهما الدروس من جيرانه، فهذا لا ينفي صفة الإبداع على الإنسان إطلاقا.

هذا فضلا عن وجود مقبرة أو مجمع جنائزي [10] الذي يمكن اعتباره من أهم ثلاث مقابر كبرى في منطقة شمال أفريقيا تعود كلها إلى فترة ما قبل التاريخ. منها كلوماطة بتيارت حيث تم العثور على هياكل عظمية تعود إلى الحضارة الإيبيرومغربية .[11] كما تم اكتشاف محطة للرسوم الحجرية إضافة إلى نقوش صخرية متنوعة وهي من أروع وأغنى المحطات الزخرفية الشاهدة على العبقرية الفنية لإنسان تلك الفترة والتي عثر عليها في كاف بوبكر بالقرب من بلدية الدحموني، اكتشفت من طرف الباحث بيار كادينا في حدود سنة 1939م وهي عبارة عن جداريتين قريبتين من بعضهما البعض. وجاءت هذه المكتشفات لتضع حدا لتلك المزاعم الرامية إلى تشويه الحقائق على يد المستكشفين الفرنسيين أنفسهم.

2 - 2 - معالم لجدار:

تقع معالم لجدار الجنائزية جنوب عاصمة ولاية تيارت على بعد 35كلم تقريبا، وهي عبارة عن قبور وأضرحة جنائزية تم تشيدها في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، والاعتقاد السائد أنها بناءات ذات طابع محلي تضم ثلاثة عشر معلما. تنقسم هذه المعالم إلى مجموعتين: ثلاثة منها في جبل لخضر بضواحي بلدية مدغوسة، أما العشرة المتبقية تشكل مقبرة تنتصب على قمة جبل العروي وذلك من الجهة الغربية لوادي مينا.

---

10 -Chaid- S- (y) : Quelque principes de l’archéologie funéraire appliqués a la nécropole préhistorique de Columnta Tiaret Alérie ,2013.p9

11- ابراهيمي كلود: تمهيد حول ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة البشير شنيتي- رشيد بورقيبة، وزارة الثقافة، 2007.ص76.

المعلم الأول: يرتكز المعلم الأول على قاعدة مربعة الشكل وسقف هرمي مدرج، يبلغ طول أضلاع القاعدة 32م وارتفاعها 3م. ويبدو أن طريقة البناء مستلهمة من التقنية الرومانية، والتي تعتمد على استعمال الحجارة المنحوتة ذات الأحجام الكبيرة والمتوازية الأضلاع، أما السقف فهو على شكل هرمي مغطى بكتل حجرية منحوتة يصل ارتفاعها إلى 14م. وهو في الأصل مدرج لكن في غياب عمليات الترميم والصيانة تعرض الموقع إلى عملية التشويه بفعل عامل التجوية.

يوجد مدخل المعلم في الناحية الشرقية وهو عبارة عن روارق طوله 09م وارتفاعه 01م وعرضه 70سمن على بعد مترين توجد تسعة سلالم تؤدي إلى رواق يبلغ طوله 36م، تتوزع علية ثمانية غرف بعدد غرفتين في كل ركن، وهي مربعة الشكل معدل مساحتها 12م تحتوي على أبواب طولها 01م وعرضها 70سم، استعملت الحجارة الرملية في تسقيفها.[12]

المعلم الثاني: يقع هذا المعلم في الجهة الجنوبية من المعلم الأول، استخدمت في بنائه الحجارة الكلسية، تعرض إلى عملية هدم كلي ولم يبق منه سوى أساسات المبنى، شيبه المبنى الأول من حيث تقنية البناء. وتستنتج الباحثة فاطمة قدارية أن المعلم الثاني هو من انجاز الملك ماسونا (Massuna) في حين يعود معلم الكسكاس إلى الملك Mastigas) الذي حكم مملكة الونشريس التي كانت مملكة قوية دامت إلى غاية وصول المسلمين الفاتحين إلى شمال أفريقيا [13]

المعلم الثالث: بني المعلم بالحجارة الكلسية، لا يختلف من حيث تقنية البناء عن المعلم الثاني، وهو على شكل هرم مدرج بقي منه تسعة مصاطب ذات أطوال وارتفاعات مختلفة، وبه سلالم حجرية تصل المبنى بالأروقة الداخلية.

هذا المبنى الضخم الذي شيدته أيادي محلية معتمدة على قواها الذاتية، إنما فرضته بيئة الاستبس فكانت المباني تشيد من الطين والحجارة المنحوتة لمقاومة الظروف المناخية الصعبة من حرارة وقساوة البرودة في فصل الشتاء، إعتقادا منهم أن هناك حياة

12-رشيد محوز: تطور المعالم الجنائزية وطقوسها بتيارت من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة، من خلال الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية، مجلة العبر للدراسات التاريخي، عدد2، أفريل 2022.ص 116.

13- Fatma Kadaria : Les Djedars monuments funéraires Berbères de la région de Frenda, Office des publications Universitaires, Alger 1983.p357.

ما بعد الموت. ولا شك أن تقنية البناء مستوحات من هندسة المعماري الروماني[14]، وهذا النمط من البناء يكشف بعمق عن تأثر العنصر المحلي بالوافد الأجنبي، ولكن هذا لا ينفي بأن المواقع الأثرية كان لها لمسة محلية وطابع خاص بحيث يضفي عليها نوع من التميز والفرادة.

فالإنسان التيارتي تعامل بكل براعة مع الخامات الأولية المتوفرة لكي يصنع احتياجاته ويصنع نفسه ولكن داخل البيئة لا خارجها، إن البيئة المحلية هي الخامة والإنسان التيارتي هو الصانع. ولهذا كان الجهد البشري شرطا للتقدم، كلما زادت سهولة البيئة كلما ضعف الحافز إلى الحضارة. إن توفر قيام شروط الحضارة في مراحل الطفولة والنشأة الضعيفة العاجزة، إنما تعبر في مضمونها عن محاولات تفتقر في البداية إلى الخبرة والتجربة. وما إن تتراكم لديه التجارب في عمليات الصناعة حتى ينتقل الإنسان تدريجيا إلى تحسين تقنياته بما يتلاءم مع احتياجاته اليومية المختلفة.

3- ثوابت جغرافية:

فالدراسات الجغرافية ليس الغرض منها عرض الأشكال التضاريسية والمورفولوجية، وإنما الهدف يكمن في استكشاف روح المكان الذي هو القلب النابض بالحياة، وأن نضع أيدينا على شفرته للخوص في أعماقه لنتعرف على أدق التفاصيل التي يختزنها المكان، ولا يجب أن تقتصر الدراسة على وصف المكان بل يتجاوز ذلك إلى فلسفة المكان.

عرفت تيارت وضواحيها قدوم هجرات سكانية منذ فترة ما قبل التاريخ، لما تتوفر عليه من مصادر المياه وخصوبة التربة واعتدال المناخ، وتوفرها على المغارات والكهوف الصخرية، مما آهلها لأن تكون موطنا ملائما لاستقرار الإنسان. واستمرت بها عمليات الاستقرار ليتعاقب على آديمها حضارات متنوعة لازالت مآثرها شاهدة على ذلك الإبداع الفني والسبق الحضاري، الذي سجلته عبقرية ذلك الإنسان من خلال ما تركه من مخلفات أثرية وشواهد مادية خلدته وهذا عكس ما ذهب إلية دعاة الاستعمار من أمثال غابريل كامبس وبيار كادينا وستيفان غزال من خلال كتاباتهم التي يصفون فيها الإنسان المغاربي بالتخلف والقصور الذاتي.

14- P.Clavenard : « Une mission dans le sud Oranais ». Paris,1888.p58.

لا شك أن المكان وبالأحرى جغرافية المكان تتباين في تكويناتها المورفولوجية والجيولوجية وبحسب موقعها كهمزة وصل بين التل والصحراء وملتقى الشرق والغرب، فمن الناحية الجنوبية تحدها الصحراء ومن الشمال جبال الونشريس ومن الغرب تزداد التضاريس تعقيدا مما جعل المنطقة تعيش في شبه عزلة من غير توقع، مما أكسب المنطقة شيئا من التفرد والتميز. وباعتبار أنها بالموقع إقليم مرور وعبور للثقافات االمجاورة فلم تمتلك ان تنعزل أبدا عن التأثيرات التاريخية، وحركات الفعل الحضارية التي اصطبغت بها عموم المنطقة في ذلك التاريخ المفعم بالتحولات المناخية، بداية من العصر الحجري القديم الأعلى وإلى نهاية العصر الحجري الحديث أي بعد بداية ظهور الجفاف مما شجع الإنسان إلى التنقل نحو الأودية والعيون بحثا عن ظروف طبيعية ملائمة لاستمرار الحياة. وتمكنت الباحثة كاتون تومسون (Caton-Thompson) من جمع المادة الأثرية المنتمية لهذه المرحلة، وتوصلت إلى حقيقة علمية تؤكد وجود صلات حضارية في التقاليد الصناعية بين هذه المواقع الأثرية.[15] ان البديل الوحيد الذي كان يفرض نفسه كعنصر في تثبيت الأنماط الجديدة الخصبة إنما هو التلاقح والاختلاط الثقافي. فأصبحت منطقة تيارت بذلك منطقة توصيل وتأصيل معا فلم تكن مجرد مساحة تتعاقب عليها الأحداث. وما تتوفر عليه من ثروات حيوانية وزراعية، مما يدفع بالإنسان إلى الطمع فيها. فالدراسات الجغرافية ليس الغرض منها عرض الأشكال التضاريسية والمورفولوجية، وإنما الهدف يكمن في استكشاف روح المكان الذي هو القلب النابض بالحياة، وأن نضع أيدينا على شفرته للخوص في أعماقه لنتعرف على أدق التفاصيل التي يختزنها المكان، ولا يجب أن تقتصر الدراسة على وصف المكان بل يتجاوز ذلك إلى فلسفة المكان. [2 16]

فلابد لأي تحليل متكامل لخريطة تيارت الجغرافية، أن يأخذ في الاعتبار المكونات الطبيعية (سهل سرسو وسهل التات وانتشار الغابات في الجزء الشمالي والشمال الغربي ومنطقة الأطلس التلي-الهضاب العليا). شكلت كل هذه العناصر المورفولوجية بيئة جغرافية متكاملة ذات مقومات أساسية، شجعت الإنسان على الخلق والإبداع.

وعلى الفور يبدو قدر من الإيقاع والتناغم والتوازن، و في عنصر من هذه العناصر الأربعة تأتي الفروق لتثبيت الاختلافات الجغرافية وتنوعها مما أضفى نوع من التكامل

1- رشيد الناضوري: المغرب الكبير، العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية، 1981، دار النهضة العربية- بيروت.ص127.

16حمدان جمال: المرجع السابق، ص11.

سمح للإنسان في تلك الفترة بالتنقل بين أرجائها خلال فصول السنة. وبذلك تكون العناصر السابقة ذات أهمية بالغة في تاريخها البشري والحضاري. فشخصية تيارت بمكوناتها الطبيعية قد أكسبها شيئ من التميز والتفرد بين سائر المناطق، محاولة أن تنفذ إلى روح المكان لتستشف عبقريته الذاتية التي تحدد شخصيته الكامنة عند بعض الأمريكيين أو ما يعرف كاصطلاح عام بعبقرية المكان.[17]

3- 1 - سهل السرسو:

وهو سهل يمتد لعشرات الكيلومترات، بلغ عرضه حوالي 35 كلم فهو محصور بين جبال الناظور جنوبا وجبال الونشريس في الشمال، ويبدو أن العرض الذي حدده الجغرافي بيران (Pérrin) بحوالي 35كلم[18]، لا يتطابق مع الواقع حيث أن المسافة التي تربط تيارت بعين كرمس تفوق ذلك بكثير فهي في حدود 55كلم تقريبا، في حين أن طوله يتجاوز 100كلم، وهو يتوفر على تربة خصبة. تجري فيه عدة واديان منها وادي مينا ووادي سوسلم ونهر واصل، هذا فضلا عن وجود العديد من مياه الينابيع التي تجري في معظم أراضي السهل، مما شجع الإنسان التيارتي إلى اتخاذه فضاء لمزاولة نشاطه المتمثل في صيد الحيوانات وتشييد الكثير من البناءات التي لازالت شاهدة على مآثر إنسان ذلك الوقت.

3 — 2- سهل التات:

وهو من السهول الضيقة الواقعة بالقرب من بلدية فرندة، يتوفر على تربة عالية الخصوبة، ينفتح من الناحية الجنوبية الشرقية على سهل السرسو الذي يشكل امتداد طبيعي له. يجري فيها واد العبد، ويخرج من أعالي السهل العديد من مياه الينابيع وهي ذات جودة عالية، اتخذه الإنسان الأول مكانا للاستقرار به، وترك لنا العديد من الشواهد التارخية منها تاوغازوت وهي عبارة عن مباني بربرية قديمة يعد تاريخها إلى ما قبل التاريخ تتضمن مغارات مختلفة من حيث الشكل والطول والارتفاع إضافة إلى وجود نصل ونصيلات مصنوعة من مادة الصوان تم اكتشافها سنة 1951 في تراناتن وباللهجة المحليه تسمى: (طرنانش) بالقرب من سيدي عصمان، يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ.[19] [2] كما عثر على بقايا أثرية في عين الدرهم، يعتقد أنها تعود إلى الفترة الرومانية التي صادفت

17حمدان جمال: المرجع السابق، ص11.

18- Perrin- René : « Le Serssou,études de geographies » In Méditérranée , 1ere année.N°2-3,1960.P63.

19- محمد مهدي: جرد مواقع ومعالم منطقة فرندة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الآثار الوقائي، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 2012- 2013. ص41.

بداية المائة الثالثة بعد الميلاد، بالقرب من خط الليمس الذي أنشأه الرومان لمواجهة الهجمات التي كان يشنها الآهالي ضد المستوطنات الرومانية. وغير بعيد أنشأ الرومان قلعة عسكرية بعين سبيبة ويوجد في مركز الموقع فروم المدينة. وفي محيطها عثر على بناءات بربرية يعتقد أنها انجازات ذات صبغة محلية.

عكس ما ذهب إلية بعض دعاة المدرسة الاستعمارية والباحثين في جغرافية المغرب التاريخية وفي مقدمتهم إميل فليكس غوتيه إلى صياغة حول ما أسموه " باللعنة الجغرافية

التي أصابت البلاد حسب زعمهم مما جعلها عاجزة عن بناء وحدة سياسية عبر تاريخها الطويل.[201] لكن المتمعن في جغرافية المنطقة وفي تضاريسها سوف يكتشف بكل سهولة أن الأطلس الصحراوي يتميز بقلة الانحدار والارتفاع وكذا اتصاله شمالا بالبحر وجنوبا بالصحراء، دون أن يكون عائقا للاتصال بين الشمال والجنوب بفضل المعابر التي تتركها حلقات هذه السلسلة.[21]

وهي مزاعم و مغالطات لا تستند على أسس قوية بل أن جغرافية المنطقة تكذب مثل هذه الافتراءات والفرضيات. حيث اختارها الإنسان الأول لتكون وطنا مفضلا له، شيد على آديمها العديد من المنجزات الأثرية التي نالت إعجاب العديد من الباحثين الفرنسيين أنفسهم، الذين راحوا ينسبونها لجهات أخرى انتقاصا من عبقرية ذلك الإنسان واتهامه بالعجز والقصور. واستحقت العناية التي أولاها الكثير من الدارسين لتاريخ المنطقة. والحقيقة أنها مقولة تلغي إسهام الإنسان التيارتي خاصة الجزائري عامة وتضعه في خانة العاجز عن تحريك المكان ومستسلما له. ولم يكن التجزؤ الجغرافي من العوائق التي تمنع التواصل بين السكان كما يزعم شارل أندي جوليان الذي يتماهى في طرحه هذا مع غوتيه الذي دعا إلى تجنب السطحية و ناد بضرورة التسليم بحقيقة الوقائع حين توفرها !

ومن جهة أخرى لاحظ سرعة الغزوات وقلة ثباتها في نفس الوقت فنحمل المسؤولية على الصراع الدائم بين البدو والحضر الذي لم ينته بفوز واحد عن الآخر فإن الثنائية التي تعذر القضاء عليها". فهي التي تعلل في الظاهر كيف أن بلاد البربر كان لها دائما " أسياد أجانب".؟ [3] [22]والخلافات التي تجد بين أهل الجبال وأهل السهول وهي

20- شارل اندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي/ البشير سلامة، 2011، ص24.

21- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم منذ فجر التاريخ إلى الفتح الأسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة.ص13.

22 - شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص25.

خلافات يقويها بطبيعة الحال تجزؤ البلاد. وهذه محاولة أخرى أراد من خلالها إثبات أن الإنسان المغاربي قاصر عن التفاعل مع بيئته. من أجل تبرير تبعيته السياسية للأجانب، التي أوجزها في عبارة "الظل الأبدي".

وكاد البربر في مرتين اثنتين أن يحققوا بوسائلهم الخاصة وحدة المغرب الأولى في عهد إغليد ما سينيسا في القرن الثاني قبل الميلاد والثانية في عهد الدولة الصنهاجية في القرن الحادي عشر الميلادي وأخفقت هاتان التجربتان فاستنتج الباحثون من ذلك أن نجاح الوحدة أمرا مستحيلا وأن الجنس البربري ليست له شخصية إيجابية.[231]

أنه بالدور التاريخي وحده يمكن التعرف على الفاعلية الايجابية للمكان فالبيئة قد تكون بعض الأحيان خرساء ولكنها تنطق من خلال الإنسان، ولربما كانت الجغرافيا أحيانا صماء ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها، ولقد قيل بحق أن التاريخ ظل الإنسان على الأرض بمثل ما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان. [24] فضلا عن هذا فان وحدة الجزائر الحقة إنما تتبلور في جغرافيتها الباقية أكثر بيقين مما تبدو في تاريخها المفعم بالمتغيرات.وبهذا يكون التاريخ بمثابة العمق الاستراتيجي للجغرافيا.[25]

وهناك مؤرخون أعادوا جل التحديات التي تعرضت لها الجزائر على امتداد تاريخها إلى أهمية موقعها سواء كان ذلك من خلال حملات الغزو التي اجتاحت إقليم شمال أفريقيا الغربي، الذي قاوم الغزوات الأجنبية الأوربية الاستعمارية منذ عهد الرومان فجعلها تدفع بذلك ثمن امتيازها موقعها الجغرافي واستثنائيته. كون سكانه دولا كبيرة راقية وقوية، في حقب كثيرة من التاريخ كان لها دور موجه في أحداث العالم كما هو الحال في عهد ماسينيسا، وصدر الفتح الإسلامي، وفي عهد الأتراك العثمانيين.

إن عبقرية المكان هي توأم عبقرية أخرى لا يمكن إغفالها أو تخطيها وهي عبقرية التاريخ، فالمكان بمفرده وبغير هوية تاريخية يبقى مجرد فضاء يتداوله الغزاة.

4- المتغيرات التاريخية:

ترى بعض النظريات إن الذي خلق الزراعة إنما هو الجفاف، حيث أن الذي يدفع الإنسان والحيوان إلى اتخاذ الأنهار والأودية مستقرا لهم. فهذا النوع من الاحتشاد بين الإنسان والحيوان حتم مسألة الاستئناس، فتم اكتشاف الزراعة في حدود 5000سنة قبل

23-شارل اندري جوليان: المرجع السابق، ص25.

24حمدان جمال: المرجع السابق، ص13.

25حمدان جمال: نفسه، ص376

الميلاد في مصر، وكان لهذه المتغيرات تسارع كبير في التطور الحضاري الذي سيشهده الإنسان بعد الاستقرار الذي يعتبر ظاهرة جديدة اصطلح على تسميتها بقانون التطور الانفجاري.

ومما لا شك فيه أن طبيعة وميكانزيم التطور الحديث، إنما حدث بعد أن أخذ اقتصاد الصيد والجمع يسير نحو التراجع فاسحا المجال أمام اقتصاد إنتاج الغذاء على ضفاف الأنهار والأودية، ومن ثم أخذ في التوسع باتجاه الشرق والغرب الذي استفاد بدون شك من هذا الاكتشاف الجديد. وبدأت معه عمليات الاستقرار الأولى في تاريخ الإنسان، وقد عثر في أماكن كثيرة على المواقع الأثرية الدالة على إنتاج الغذاء بالقرب من الوديان والأنهار في منطقة الشرق كمصر والعراق.[26] وكان من مخلفات هذه الحضارة استخدام الأقواس والسهام، كدليل على المزاوجة بين الزراعة وتربية الحيوان.

بينما تأخرت الزراعة في الجهات الغربية حيث ظل الرعي هو الطابع المميز لهذه المرحلة في بلاد المغرب. ويلاحظ المهتم بتاريخ المنطقة أن العصر الحجري الحديث قد تأخر من الناحية الزمنية عن نظيره في الشرق الأدنى القديم بحوالي ألف سنة تقريبا. والجدير بالذكر قد تم العثور على كثير من العظام المدفونة في طبقة الفترة الإيبرومغربية، التي وصلت إلى تيارت،[272] ثم وقع تحول في استهلاك لحوم الحيوانات وبدأت عملية صيد الأسماك الصغيرة وقواقع المياه العذبة، التي اكتشفت في طبقات الفترة الكولومناطية بالقرب من سيدي الحسني.

أما إذا ما نظرنا إلى عنصر الزمان، سيظل مقرونا بدور الإنسان التيارتي التاريخي من خلال نضالاته ونشاطه. فحركة النضال والنشاط هنا تعني التحرك لجعل المكان يتحرك متجاوزا حالة السكون وتغيير لملامح الزمان، ولولا الحركة ما كانت هناك مكانة للمكان، فالمكانة لا يمكن أن ترتقي إلى هذا الشموخ في غياب عنصر الزمان الذي يطغى بكل ثقله على حيوية المكان، . ومن هنا نستنتج أن حيوية المكان هي سيطرة المكان على الزمان. وبالتالي فإن الأحداث التي شهدتها المنطقة عبر تاريخها، كان هدفها تغيير الزمان وذلك من خلال إجهاض زمن السكون، ليسترجع الإنسان التيارتي زمن مكانة المكان، وإعادة المنطقة بامتلاكها لعنصر الزمان. وعليه فإن مد خيوط التواصل بين عبقرية المكان وعبقرية الزمان تعود إلى دور الإنسان في تخطيه لجميع الموانع من

26- رشيد الناضوري: المغرب الكبير، العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية، 1981، دار النهضة العربية-بيروت.ص.124.

27- براهيمي كلود: المرجع السابق، ص56.

خلال فتح الطريق أمام عملية التواصل التي ينتج عنها الإبداع والابتكار. ومن هنا فإن المعادلة هي: مكان و

زمان وإنسان، فالفاعل الحاسم هنا هو الإنسان الذي يدفع باتجاه زعزعة المكان ليصنع من المكان تلك القمة والشموخ فيسيطر فيه زمانه على زمان غيره.

والجدير من الاهتمام إن تدوين هذه الأبحاث وقراءتها سيساعدنا على فهم حياة ذلك الإنسان ونمط عيشه، فعلم الأثار يسعى من خلال الشواهد إلى بعث الحياة في أشياء نسيها الإنسان وأهملها بينما احتضنتها الأرض مكتنزة ذكرياتها. فيدفعك إلى البحث والتنقيب لتستكشف الماضي وتستنطقه لتتحقق من الحاضر فتقارنه لتستقرئ المستقبل وتخطط له. وبعد هذا العرض الذي اعتمدنا فيه إيجاز مضامين هذه الخطوة يمكننا القول بأن الإنسان التيارتي تفاعل مع محيطه الطبيعي والبشري وما خلفه هذا التفاعل من شواهد توضح تطوره عبر العصور. انه همزة وصل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

5- موقف دعاة المدرسة الكلونيالية من المخلفات التي تركها الإنسان التيارتي في فترة ما قبل التاريخ وما يليها :

1- يرى دعاة الاستعمار ومنهم شارل أندري جوليان أن الصناعات التي ظهرت في ما قبل التاريخ أنها صناعات متأخرة، لم يتفطن لها إلا بعد مرور وقت طويل وبالتالي دخول عالم الصناعة كان بعيد نسبيا على مثيلاتها في في دول الجوار والشرق الأوسط. أراد من خلال ذلك اتهام الإنسان المغاربي بالعجز وعدم امتلاكه للقدرات العقلية التي تؤهله على الإبداع والابتكار. وهذا ما ذهب إليه جوبينو في كتاباته على أن الإنسان في بلدان العالم الثالث عاجز عن صناعة حضارة من صلبه. وراح يستشهد بالمجتمعات البدائية في قلب الأمازون للتسويق لنظريته التي تعلي من شأن الإنسان الغربي.

2- ويشير في موضع أخر أن هذه الصناعات لا يوجد أفقر منها، مما يوحي بان إنسان ذلك الوقت بقي متأخرا مقارنة بجيرانه في حوض النيل. وإذا كان هناك إبداع فمرده إلى البيئة لا الجنس والغرب وحده من يملك مفاتيح التقدم وهي كلها حجج جاءت لكي تبرر عملية الغزو الفرنسي للجزائر وإقناع المستعمر بفتح الميم بذلك.

3- ثم يضيف غزال ما من اكتشاف عن ثورة نيوليثية (زراعة تربية مواشي، تجمع سكاني، صناعة فخارية أو خزفية) إلا يعزى لتأثير القرطاجيين. ثم طرح سؤالا " هل جاء تقدم البربر بمبادرة من ذهنهم أم بتأثير خارجي ؟ هذا ما نجهله.

4- يعترف أن البربر يستعملون منذ زمن بعيد قبل وصول الفينيقيين آلات حجرية صقلية ونحاسية، أي أنهم مروا مبكرا بثورة نيوليثية وبعد-نيوليثية إلا أنها ليست من

إنتاجهم بل تحصلوا عليها من جيرانهم أو من تجار أو غزاة. يبدو أن نظرية التبعية للخارج التي أبدع فيها دعاة المدرسة الاستعمارية، باتت تعبر عن إرادة سياسية، هدفها واضح هو تبرير عمليات الغزو الاستعماري لنقل المنطقة إلى "الحضارة" التي جاء بها الرجل الأبيض إلى السكان والمطلوب منهم احتضانها.

5- وظل غزال يؤكد أن الشرق علم المغاربة إنتاج القمح واستغلال بعض أنواع الشجر واستخدام الحصان. ويضيف أن البربر تعلموا مع مجيئ الفينيقيين استعمال الحديد دون أن يمروا باستخدام النحاس والبرونز.غيرت اكتشافات الأطلس والصحراء فدحضت ادعاءات غزال جملة وتفصيلا حيث أثبتت النقوش الصخرية أن استعمال العربات في الجزائر حدث منذ آلاف السنين وقبل مجيئ الفينيقيين. [28] والمؤكد أن المدرسة الكلونيالية تبحث عن حجج لكي تبرر نظرية التبعية للخارج.

وفي رأي كامبس وزملائه أن المغاربة تلقوا من الخارج آلات معدنية دون أن يتعلموا كيف يصنعونها بأنفسهم.

يقول كامبس " إن المغرب فقد وحدته الأصلية منذ العصر الحجري الصقيل أثناء الألفية الثانية ق.م بفعل وجود حضارات غازية: الحضارة الإيبيرية في القسم الغربي، والإيطالية في الجزء الشرقي، والمصرية الصحراوية في الجنوب. وبقي المغرب الأوسط منطقة عبور بلا خصائص تميزها، وكأنها من منظور هؤلاء منطقة شاغرة لا بوصفها تجليا لحركة الروح العاقلة في الزمان، أو بالأحرى منطقة لا يوجد بها ذات واعية، بل أن الإنسان فيها لم يدخل التاريخ، ولم يتحرر بعد، شأنه في ذلك شأن الإنسان البيهيمي الذي كان شغله الشاغل هو الحصول على الأكل والشرب والجنس من أجل المحافظة على غريزة البقاء.

6- وفي جانب آخر يرى غزيل أن الشرق الأدنى علم الإنسان المغاربي إنتاج القمح واستغلال بعض أنواع الشجر واستخدام الحصان الذي لم يعرف استخدامه في المنطقة إلا بين الألفي الثاني والألفي الأولى قبل الميلاد. لكن الحقيقة تقول أن الخيل والعجلة هما نتاج أصيل لبيئة الإستبس لم يكن للبيئة الفيضية من فضل في ذلك. [29] وأن العصر الحجري الصقيل لم ينته إلا بعد 1000 عام. أي مع مجيء الفنيقين فتعلم البربر منهم استعمال الحديد دون أن يمروا باستعمال النحاس والبرونز.

28- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط1، 2007، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.ص45.

29-جمال حمدان: المرجع السابق، ص435.

لكن الاكتشافات الحديثة كشفت في الأطلس والصحراء، حيث أثبتت النقوش الصخرية أن المنطقة قد عرفت استعمال العربات آلاف السنين قبل مجيء الفنقيين. علما أن تركيب العربات يتطلب استخدام المعادن ورغم الاكتشافات لم يتغير رأي المؤرخين الاستعماريين إنه الإصرار على التمسك بأرائهم الجاهزة رغم ظهور الأدلة . [30]

لقد توصل ليوناد بالو بعد دراسة مستفيضة أنه يستحيل دمج المغرب في أوربا، حيث قال" ...ان بلاد المغرب الملتصقة بأفريقيا والشرق والمنفتحة على أوربا قد أخذت منذ ألاف السنين قبل التاريخ والتي أثبتت أنها غير قادرة على إنتاج حضارة من ذاتها، ولا هي قادرة على أن تندمج في إحدى الحضارات القادمة إليها من جهات مختلفة واخضعتها وسيطرت عليها.[3] [31]يبدو أنها أحكام لا تستند على وقائع تاريخية تؤسس لهذا المنطق المتشائم، والواضح أن افريقيا الشمالية احتضنت الفتوحات الاسلامية الوافدة من الشرق وامتزج العنصر القادم بالعنصر المحلي، فشكلوا عبر تاريخهم الطويل أمة واحدة، بذلك كان مصير هذه الاطروحات التي حاولت تشويه تاريخ بلاد المغرب الفشل الذريع.

ونستخلص مما تقدم أن الجزائر لا تعدو أن تكون رقعة جغرافية قاحلة فكريا كونها ظلت تستقبل الموجات البشرية التي ساهمت في تزويدها بالأدوات والتقنيات إذ حاولوا من خلال دراستهم للشواهد المادية والأثرية التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، وهو علم برعت فيه المدرسة الإستعمارية دون منافس من أهل المنطقة وذلك لأسباب تاريخية لا يتسع المجال الخوض فيها. حيث دأب كامبس ورفاقه على محاولة تثبيت فكرة أن الحضارة جاءت إلينا من ناحية الشرق والشرق الأدنى. ونحن لا ننكر ذلك حيث كانت مصر وبلاد الرافدين أولى نبضات الحضارة التي وصلت إلى شمال أفريقيا، فاحتضنها السكان وتفاعلوا معها إيجابا واستفادوا منها وهذه ميزة تنطبق على بني البشر جميعا في التأثر والتأثير معا.

لقد وضعت الإدارة الاستعمارية مسألة الاعتناء بدراسة تاريخ المغرب القديم، في المقام الأول مما كان له أثرا واضحا على فلسفة الاستعمار الأوربي إبان فترة القرن التاسع عشر.

ومن خلال موقعها كنواة وقلب لمنطقة حضارية تتوزع في ثنياها كل العناصر الحضارية، المادية والفكرية، وبحكم موقعها المتوسط بين الشرق والغرب، كانت دوما تشكل

30-العروى عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط1، 2007، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.ص45.

31 -Lionel, Balout : Revue Africaine,Volume 92,année1948.p262.

منطقة استقطاب وعبور في آن واحد، فكانت تمثل بخصائصها وسط طبيعي جاهز لمنطقة حضارية مثالية بكل مميزاتها، فكان التدفق الحضاري الوافد يسري في عروقها فيعكس النبض التاريخي للمنطقة صعودا ونزولا.

ومن منظور هؤلاء أن الجزائر لا تاريخ لها، ويظهر ذلك جليا في كتابات غوتييه الذي ألف القرون المظلمة للمغرب وأصدر حكمه على أن المنطقة ظلت خارج التاريخ! لتدخل عصر التفتت وفي هذا الصدد يقول:" الدول المغاربية مثل الفقاع ينبت في ليلة ويتعفن في الصبيحة". في حين يصف شارل أندري جوليان قائلا:" الدول المغاربية الثلاث، ليست لها حالة مدنية مظبوطة". أي ليس لها تاريخ، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نفسر إقدام فرنسا على توقيع 70 معاهدة مع الجزائر ! وأن بريطانيا العظمى سيدة البحار وقعت هي الأخرى على 18 معاهدة بين الداي حسين وجورج الرابع !

إنها لا مفارقة كبيرة أن تتناسى فرنسا كل هذه الأحداث وتدفنها في غياهب النسيان، وهي التي تحتوي خزائنها ومراكزها على أرشيف ضخم يتضمن بدون شك على كم هائل من المعاهدات والاتفاقيات، التي أبرمتها دبلوماسيتها مع حكام الجزائر على الأقل في الفترة الحديثة . حيث أولتها اهتماما خاصا نظرا لخصوصية العلاقات بين البلدين. ولا يمكن فهم الإستراتيجية الفرنسية إلا في إطار التحامل وتجاهل ينم عن سياسة مبيتة الغرض منها تبرير عمليات الغزو، وجعلها جزءا من ترابها الممتد داخل القارة الافريقية. يقال إذا أردت أن تبتلع دولة عليك أن تسقط تاريخها، وأن تصف شعبها بأنه بدون هوية تاريخية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابراهيمي كلود: تمهيد حول ماقبل التاريخ في الجزائر، ترجمة البشير شنيتي- رشيد بورةيبة، وزارة الثقافة، 2007.

2- بابا عبد الرزاق: تحقيقات في الأطلس الأثري الجزائري، مجلة الدراسات الأثرية، مجلد14، عدد1، 2016.

3- جمال حمدان: شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان، ج1، دار الهلال.

4- جوليان شارل اندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي / البشير سلامة، .2011

5- حارش محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم منذ فجر التاريخ إلى الفتح الأسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة.

6- رشيد محوز: تطور المعالم الجنائزية وطقوسها بتيارت من العصر الحجري القديم الأعلى إلى الفترة القديمة، من خلال الشواهد الأثرية والمصادر التاريخية، مجلة العبر للدراسات التاريخية، عدد2، أفريل 2022.

7- صندوق ستى: الثروة الحيوانية والغطاء النباتي في الجزائر خلال العصور القديمة، كوكب العلوم، الجزائر، 2020.
8- العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط1، 2007، المركزالثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.
9- الناضوري رشيد: المغرب الكبير، العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية، 1981، دار النهضة العربية- بيروت.
محمد صغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى مليلة، 2011.
10- محمد مهدي: جرد مواقع ومعالم منطقة فرندة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم الآثار الوقائى، جامعة ابى بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية 2012-2013.
11- هيجل: العقل فى التاريخ، المجلد الأول، محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة وتعليق وتقديم، إمام عبد الفتاح إمام، ط3 2007.

12- Chaid- Saoudi (y)Les Mammifères holocènes des gisements préhistoriques de Gueldaman-Akbou (Bédjaia), Columnata Tiaret Algérie. Doctorat de troisiéme cycle
,Université Claude Bernard –Lyon,1987 .
13-Chaid- Saoudi (y) : Quelque principes de l'archéologie funéraire appliqués a la nécropole préhistorique de Columnta Tiaret Alérie ,2013.
14-Fatma Kadaria : Les Djedars monuments funéraires Berbères de la région de Frenda, Office des publications Universitaires,Alger 1983.

15- Lionel, Balout : Revue Africaine,Volume 92,année1948.

16-M.R.De la Blanchère « :Les Souama de Machraa Sfa » In mélange d'archéologie et d'histoire .T.2.1882 .

17-M-C Chamla : l'évolution du type Mechta Aflou en Algérie Occidentale, comptes rendus hébdomadaires des séances de l'Academie des sciences naturelles ,Série02,1966-1980.

18- Pierre Cadinat :Indications de quelques stations préhistorique de la région de Tiaret,B .S.G.A.O.59 ,1938.

19-P.Clavenard : « Une mission dans le sud Oranais ». Paris,1888.